



كلية التربية الاساسية

القسم : التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : م.م حنين رافع عودة

اسم المادة باللغة العربية : تأريخ الوطن العربي المعاصر

اسم المادة باللغة الإنجليزية : History of the contemporary Arab world

اسم المحاضرة الرابعة باللغة العربية: سوريا بين عامين ١٩١٨-١٩٤٦

اسم المحاضرة الرابعة باللغة الإنكليزية : Syria between the years 1918-1946

محتوى المحاضرة الرابعة

...سوريا بين عامين ١٩١٨-١٩٤٦:

الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ - ١٩٢٠ :

(الأوضاع السياسية في سوريا بعد انتهاء الحرب)

كان من نتائج اتفاق الشريف حسين مع الحلفاء لاسيما بريطانيا ،إعلان الثورة في الحجاز 1916 ،كما سبقته الإشارة وقد تكلم ذلك بدخول الجيش العربي بقيادة الأمير فيصل دمشق في الأول من تشرين الأول ١٩١٨ وفي الثامن منه دخل هذا الجيش بيروت واستبشر العرب خيرا بنجاح الثورة وأيقنوا ان طموحاتهم بالحرية والاستقلال قد لاحت امام ناظرهم ،إلا ان هذا التفاؤل سرعان ما اصطدم بتشابك العلاقات بين بريطانيا وما قطعته من وعود للعرب وبين الحلفاء أنفسهم لاسيما بريطانيا وفرنسا .فقد غدت المنطقة الجنوبية من سوريا تحت سيطرة وإدارة القوات البريطانية .اما المنطقة الغربية التي تضم المنطقة الساحلية من سوريا فقد وقعت تحت سيطرة وإدارة القوات الفرنسية .اما المنطقة الشرقية وتضم سوريا الداخلية والتي شغلها القوات العربية فقد سعى الأمير فيصل فيها إلى إقامة حكومة عربية تحت رئاسته وكان هذا الوضع الجديد بشقيه العسكري والسياسي بداية لمشاورات وخلافات بين فرنسا وبريطانيا حول مصير هذه المناطق لاسيما حول مستقبل ولاية الموصل وفلسطين أيضا وقد بزر الحلفاء موقفهم هذا بأنه إجراء وقتي وان مؤتمر الصلح في باريس سوف يبت به بعدئذ . ولذا استغل الانكليز دخول القوات العربية دمشق قبل ان تدخلها القوات البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي .بهدف إضعاف مواقع الفرنسيين في سوريا ومن ثم الالتفاف على اتفاقية سايكس - بيكو مما أثار حفيظة الفرنسيين .واثر أخيرا في وضع ومستقبل الحكومة العربية التي أقيمت في دمشق إذ أنهم الفرنسيون حلفائهم البريطانيون بمد يد العون لهذه الحكومة ،والذي اعتبرته فرنسا عملا معاديا موجهها ضدها ويستهدف الحلول مكانها في سوريا. ذلك ففي 5 تشرين الاول ١٩١٨ عمل فيصل على تشكيل حكومة ذات صبغة عسكرية في دمشق وبأطلاع وترخيص من الجنرال اللنبي ،ثم أصدر بيانا موجهها للشعب السوري قدر فيه المشاعر السورية العميقة لحسن وفادتهم واستقبالهم للجيش العربي وتعاطف ولائهم مع الشريف حسين .ومن ثم أعلن عن تشكيل حكومة دستورية واختير علي رضا الركابي رئيسا لها . وهناك من رأى ان تأسيس هذه الحكومة كان بمثابة (أول تحقيق عملي لليقظة القومية الحديثة) بعد قرون عديدة من هيمنة الحكم العثماني .

وقد حرص فيصل ان تكون حكومته ذات مظهر قومي عربي خالص تستند إلى أساس العدل والمساواة بين الجميع .وتتجاوز الولاءات العرقية والدينية كما أكد على استقطاب أهل الكفاءة والخبرة من الأهلين أو من كان قد عمل في الإدارة البريطانية إلى جانب ذلك تأسس مجلس شوري في دمشق اقتصرت مهامه على دراسة وإعداد اللوائح القانونية والأنظمة والقرارات ، علاوة على إنشاء ديوان الشورى الحربي الذي انيطت به مسؤولية تنظيم الجيش العربي الجديد كما نالت هذه الحكومة تأييد موازنة الجمعيات والأحزاب السياسية كحزب العهد بفرعيه العراقي والسوري وهيئة جمعية الفتاة التي أخذت تعمل تحت اسم حزب الاستقلال والنادي العربي الذي وجه نشاطه

ودعايته ضد نوايا الفرنسيين في سوريا ولغرض التفاف وتأييد واسعين حول حكومته ،قام فيصل خلال تشرين الثاني ١٩١٨ بجولة في انحاء سوريا وبيروت .ودعا فيها الأهلين إلى وضع ثقتهم في النظام الجديد .ومذكرا إياهم بوعود الحلفاء كما دعاهم إلى الالتزام بحفظ الأمن والنظام .والتفرغ لمؤازرته في العمل على إرساء أسس المؤسسات الجديدة والقيام بالإصلاحات العامة في المرافق الثقافية والاقتصادية وغيرها .

ومع هذا واجهت هذه الحكومة الفنية صعوبات وعراقيل جملة منها التداخل والازدواج في السلطة من حيث وجود القوات العسكرية البريطانية التي كانت تمثل المرجع الأعلى . ثم ترقب ماسوف تؤول إليه المسألة السورية في مؤتمر الصلح في باريس لاسيما وان هذه الحكومة قامت المنطقة المخصصة للنفوذ الفرنسي بموجب اتفاقية سايكس - بيكو وامتدادها لتشمل جبل لبنان وبيروت وهذا ما أوحى للفرنسيين بالشكوك من ان ذلك يتحقق بدعم من الإنكليز وعلى حساب مصالحهم ،كما اعتبروا سياسة فيصل بمثابة عداء موجه لهم .وعلى هذا الأساس ولتعزيز نفوذهم بشكل أوسع عينوا جورج بيكو في 6 تشرين الثاني ١٩١٨ ليقوم بمهمة المندوب السامي الفرنسي في سوريا ولبنان وارمينيا واتخذ من بيروت مقرا له وهكذا وقعت هذه الحكومة منذ ولادتها بين مناورات ومساومات ومطامع الإنكليز والفرنسيين ثم انتقل هذا الأمر بعدئذ إلى مؤتمر الصلح نفسه .وبهذا تعرضت تلك الحكومة إلى صعوبة أخرى تمثلت بالضغط الفرنسي الخارجي هذا فضلا عن صعوبات عدم الانسجام الداخلي والضغوطات الاقتصادية.

وفي أواخر تشرين الثاني ١٩١٨ توجه فيصل بناء على توصية من والده الشريف حسين إلى فرنسا وبريطانيا كمثل عنه لحضور مؤتمر الصلح المذكور في باريس وقد استقبلت فرنسا فيصل ببرود واضح وفي لندن تعرض لضغوط الإنكليز بغية حمله على إتباع المرونة إزاء وعد بلفور ،ولم يوفق فيصل إلى حد ما في مسعاه في إقناع الحلفاء بمطالبه ،فعاد في نيسان إلى سوريا وكان عالية مواجهة موجة من الحماس الوطني التي امتلكت مشاعر الرأي العام في الاستقلال والوحدة زد على ذلك هواجس القلق التي اعترت القوى الوطنية بما يمكن ان تسفر عنه المفاوضات من شيء ثم إمكانية توفيقه بين المطالب القوية والعاجلة وميوله نحو الاعتدال لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذه المطالب .وبعد ان تطورت الأوضاع في سوريا وانعقاد المؤتمر السوري الأنف الذكر ومقرراته المتعارضة مع المصالح الاستعمارية ،قررت كل من بريطانيا وفرنسا حسم خلافتها وتوصل الطرفان إلى الاتفاق المعروف باتفاق (لويد جورج - كليمنصو) في 15 أيلول ١٩١٩ وبموجبه تم إجلاء القوات البريطانية في غرب سوريا وإبدالها بقوات فرنسية واحتفظت القوات العربية بالمنطقة الداخلية من سوريا من العقبة إلى حلب على ان تبقى فلسطين وشرق الأردن تحت الاحتلال البريطاني وعدم المطالبة بإدخال ولاية الموصل ضمن الدولة السورية .وقد سبق ان اتفقت الدولتان على إجراء تعديل على اتفاقية سايكس - بيكو وذلك بتنازل فرنسا عن ولاية الموصل مقابل منحها حصة من نפט الموصل تقدر بنسبة ٢٥% من أسهم شركة

النفط التركية .

ومهما يكن من أمر فإن هذه الإجراءات كانت بمثابة احتياطات تمهيدية لاحتواء أي تطور في المطالب العربية ،كما قضت في الوقت ذاته على إثارة مقترحات اللجنة الأمريكية .كما مهدت الطريق سياسيا لقرارات فرض الانتداب على المشرق العربي بعدئذ وبدا وكأن بريطانيا قد أطلقت يد فرنسا في سوريا وتخلت عن وعودها في إقامة حكومة مستقلة فيها .

وفي غضون ذلك دعت بريطانيا فيصل إلى لندن بغية إقناعه بالتسوية الجديدة بينها وبين فرنسا ثم أقنعت بضرورة التفاهم مع كليمنصو (رئيس وزراء فرنسا وهكذا أودع الإنكليز أمر فيصل بيد الفرنسيين ،وكان ذلك بداية النهاية بالنسبة لاستقلال العرب برئاسة فيصل في سوريا .وبالرغم من ذلك توصل فيصل مع كليمنصو إلى اتفاق خاص

يقضي باحتلال فرنسا للبنان والسواحل الغربية شمالاً إلى الاسكندرونة على ان تولي الحكومة العربية جهدها إلى التعاون مع فرنسا في المجالات العسكرية والفنية والإدارية وغيرها شريطة اعتراف فرنسا بدولة سورية مستقلة ضمن حدود يعترف بها مؤتمر الصلح .

وقد اثار اتفاق فيصل الجديد هذا مع فرنسا ردود الفعل الوطنية العنيفة ولاسيما بعد ان عينت الأخيرة الجنرال غورو (مندوبا ساميا وقائدا عاما في الشرق) مدعوما بقوات فرنسية كبيرة. لذلك كان استقبال فيصل عند عودته إلى دمشق في منتصف كانون الثاني ١٩٢٠، متسما بالبرود والريبة والشكوك، رغم محاولاته لتقديم التبريرات لإجرائه هذا. وقد قامت تظاهرات في البلاد تعلن تأييدها وإسنادها للوحدة والاستقلال كما وقعت مصادمات بين المتظاهرين والفرنسيين. مما اضطر فيصل أخيرا إلى الموافقة على اقتراح مستشاريه وأصدقائه على ضرورة وضع الحلفاء امام الأمر الواقع وإعلان استقلال سوريا وبما ان قرارات مؤتمر سان ريمو في نيسان عام ١٩٢٠، جاءت كرد فعل على قرارات المؤتمر السوري في آذار ١٩٢٠ وتم في سان ريمو فرض الانتدابات وتقسيم المشرق العربي بين فرنسا وبريطانيا. فقد حاولت بريطانيا تخفيف وطأة قرارات المؤتمر على فيصل بشكل يدل على المواربة، فامحت له باستعدادها للاعتراف به مبدئيا كرئيس للدولة سوريا المستقلة. لقد اعتقد البعض من الوطنيين بأن بريطانيا قد تخلت عن وعودها وان فيصل قد وقع تحت تأثير وعود ولسن الغامضة و الشفهية اما فرنسا فقد تنفست الصعداء بعد عقدها الهدنة مع الاتراك، والتزامها جانب الوفد اللبناني في مؤتمر الصلح بوعده بالمحافظة على استقلال لبنان، وفي ٢٧ ايار ١٩٢٠ القي فيصل خطبة في دمشق قصد من ورائها رفع الهمم وتبديد اليأس والاحباط في النفوس الوطنية لاسيما في قوله (اريد من الأمة ان تثبت إلى النهاية وان تنتظر النتيجة برباطة جأش)، وفي 9 تموز أرسل نوري السعيد للتداول مع الجنرال غورو بشأن المسألة السورية وإعطاء الحكومة العربية صلاحياتها المقررة، الا ان الأخير اظهر ماينم عن المراوغة والتعنت ووجه لفيصل انذارا شفويا تضمن قبول الانتداب الفرنسي، وضع سكة حديد رياق - حلب تحت تصرف الجيش الفرنسي والغاء التجنيد الإجباري وتسريح المجندين، وقبول الأوراق النقدية التي أصدرها البنك السوري. ومعاقبة رجال المقاومة العربية الذين وصفهم بـ (المجرمين الذين استرسلوا في معادات فرنسا)، وبلغت الأزمة ذروتها في ١١ تموز عندما اشيع فحوى انذار غورو الشفهي فأحدث ذلك موجة من القلق والاضطراب في جميع المدن السورية، وقد حاول فيصل اطلاع قناصل الدول الأجنبية في دمشق على هذا الإنذار الفرنسي وناشد الدول الحليفة ان تتصرف بروح العدل والإنصاف والتدخل لإنقاذ استقلال سوريا، إلا ان فرنسا كانت قد أرفقت شروطها بالتلويح بالقوة حيث احتلت قواتها العسكرية محطة رياق ثم قامت بالتحشد على جميع الحدود السورية.

وازاء ذلك اضطر فيصل للاجتماع مع ممثلي الاحزاب السياسية وكبار المسؤولين في حكومته وتشاور معهم في اخذ التدابير اللازمة لمواجهة التهديد الفرنسي. وفي 13 تموز اجتمع المؤتمر السوري العام والقي فيه وزير الحربية بيان الحكومة الذي تضمن عدة قرارات هي :

اولا - الالتزام بالسلام والمحافظة على الاستقلال

ثانيا - عدم الإخلال بالصلوات الحسنة مع الحلفاء وعدم رفض المفاوضات .

ثالثا- القبول بكل حل لايمس الاستقلال والشرف .

رابعا- الاستعداد والتصميم بنفس الوقت للدفاع عن الشرف والحقوق الوطنية .

الا ان فرنسا ظلت على تعنتها واصرارها ، فأرسل الجنرال غورو في 14 تموز (مذكرة إنذار رسمية) أيد فيها مطالبه وشروطه الأولى انفة الذكر وحدد الرد عليها بأربعة أيام فقط ،وقد اختلفت حكومة فيصل حول قبول الإنذار ،ومع ذلك توصلت في ٢٠ تموز إلى قرار نهائي بقبوله .رغم محدودية القوات العربية والاستعدادات القائمة لمواجهة الموقف ،واتخاذ بريطانيا موقف التجاهل والسلبية ومثلها البقية الباقية من الحلفاء ،وكإظهار لحسن النية نفذت الحكومة أربعة بنود من الإنذار منها تسريح الجيش . غير ان قبول الإنذار كان بمثابة الصدمة للمشاعر الوطنية فقامت تظاهرات شعبية عنيفة طالبت بإقالة الحكومة وتعبئة الجهود للدفاع عن البلاد ،بل وصل الأمر إلى ان اتهم البعض منهم فيصل بالتخاذل والتهاون ومع هذا حاول فيصل بالتشاور مع حكومته إيفاد ساطع الحصري كمثل عنهم لمفاوضة الجنرال غورو بعد تقدم القوات الفرنسية داخل سوريا ،ولكن ليس ثمة جدوى من ذلك ،فقد قرر غورو الاستيلاء على سوريا وأمر قواته بالزحف على دمشق بحجة ان تفاصيل قبول الإنذار لم تصل إليه في الوقت المحدد ،ولامناس من ذلك ،فاستقر الرأي حينئذ على القتال .

وفي ٢٤ تموز ١٩٢٠ خاضت القوات العربية بقيادة يوسف العظمة (وزير الحربية) معركة بدت وكأنها مفروضة عليها ،ودارت رحاها بين قوتين غير متكافئتين لا في القوة ولا في العدة والعدد ولا في الكفاءة العالية ، على مقربة من دمشق عرفت بمعركة ميسلون ومع هذا ابلى المقاتلون العرب بلاء حسنا في القتال واستشهد ثمانمائة مقاتل من بينهم القائد العظمة الذي قاد المعركة بشجاعة وإباء دفاعا عن شرفه العسكري وكرامة بلاده.

ولم يحل اليوم التالي إلا وكانت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال غواييه قد دخلت دمشق، وانسحب فيصل أعضاء حكومته إلى مكان خارج دمشق .ورغم مرارة الاحداث التي هيمنت عليه ،حاول فيصل تشكيل حكومة جديدة برئاسة علاء الدين الدروبي وكان يأمل من ذلك إمكانية تحقيق تفاهم مع الفرنسيين إلى حد ما .لكن غدا واضحا ان الفرنسيين حققوا ما أرادوا ،والتعامل مع فيصل لم يعد مرغوبا بنظرهم ،فأعلنوا ان السلطة التي يمثلها في سوريا أصبحت في حكم الانتهاء . وكأجراء اتسم بالشكليات طلبوا من فيصل في بادئ الأمر العودة إلى دمشق .وفي ٢٦ تموز اجتمع الجنرال غواييه مع أعضاء حكومة الدروبي ،والقى فيهم بيانا أوقع فيه مسؤولية ما آلت اليه الامور على عاتق فيصل ،واعتبر الحكومة الجديدة هذه خاضعة لسلطة الانتداب ،وفرض عليها غرامة حربية ثقيلة .وقد احتج فيصل على هذا البيان ببرقية ارسلها للجنرال غورو ،الا ان رد الاخير كان قاسيا وسافرا ،اذ طلب من فيصل مغادرة سوريا دون ابطاء ،واعتبر قراره هذا مالكا للصفة الرسمية ويستند لتأييد الحكومة الفرنسية نفسها ،كما حدد يوم ٢٨ تموز كموعدا خيرا لتنفيذ القرار .ومن البديهي ان القصد من ذلك كان التقليل من شأن فيصل والنيل من مكانته السياسية ولكن عشية مغادرة فيصل لدمشق ارسل برقية احتجاج اخرى الى الجنرال غورو ،اعتبر فيه تصرف فرنسا وسلوك قواتها العسكرية ،من قبيل الانتهاك الصارخ للقرارات التي اتخذت في مؤتمر الصلح ومخالفة صريحة لمبادئ شرعية عصبية الأمم . وهكذا بإصرار فرنسا فرضها الانتداب على سوريا ولبنان ،تكون قد أجهضت أول تجربة عربية في الحكم ،نادت بالاستقلال والوحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تلك التجربة التي وأدتها فرنسا في مهدها بقوة السلاح والمناورات السياسية بينها وبين الحلفاء .

-الانتداب الفرنسي وأثاره العملية :-

بدأت فرنسا سياستها الانتدابية بأحكام قبضتها على سوريا ولبنان بجو ساد الصبغة العسكرية والإرهاب والشدّة ،فقد انشأت السلطة الانتدابية الجديدة محكمة عسكرية في دمشق لمحاكمة رجال الحركة الوطنية واصدرت على العديد منهم احكاما بالاعدام والاعتقال لمدد متفاوتة .كما جردت حملات عسكرية شملت مناطق عديدة من سوريا بغية مطاردة بقايا جيوب المقاومة الوطنية ،بحجة معاقبة من وصفتهم (بالمجرمين ...والمترعين بذريعة الوطنية) ،ثم أقدمت على تسريح الجيش العربي ومصادرة سلاحه وجعله قوة محدودة للمحافظة على الأمن الداخلي ،كما فرضت غرامات حربية على المدن ،وغدا المندوب السامي الفرنسي يتمتع بسلطات تشريعية وتنفيذية غير محدودة ويلحق به هيئات انتدابية مصغرة في المدن الكبرى ، علاوة على تعيين المستشارين في الوزارات وجميع الإدارات الحكومية الأخرى .

وفضلا عن ذلك ،أخذت هذه السلطات تنظر إلى الحكومات السورية بدءا من حكومة الدروبي ،التي أخذت تماشي سياسة الانتداب ،نظرة إدارية شكلية حسب خاصة بعد ان سلّبت منها فعاليتها .وبالمقابل أنشأت سلطات الانتداب ادارات خاصة أطلق عليها (المصالح المشتركة) التي الحقت بالمندوب السامي نفسه ،حيث كان غرضها الإشراف على البريد والمواصلات والموانئ والكمارك والأمن وشؤون العشائر وغيرها زد على ذلك احكام هذه السلطة سيطرتها على السياسة التعليمية في البلاد ،وفرضها اللغة الفرنسية كأداة ثقافة أولى في التعليم ، هذا الى جانب اشرافها على وون الاوقاف والسكان من العشائر في البادية ،وفرضها الفرنك الفرنسي كعملة نقدية للتداول .وقد حاولت هذه السلطة ايضا ،ان تلحق بأدارتها العديد من الموظفين اللبنانيين والسوريين ممن تألف التعاون معهم ،وعلى اساس الانتماء والتمايز القائم على الانحدار المذهبي والعرقي والاقليمي ،بالرغم من قلة خبرتهم وكفاءتهم الادارية

كما لم تنظر السلطة الانتدابية الى البلاد نظرة ذات هوية وطنية موحدة ،بل على العكس من ذلك ،اعتمدت على التعددية العرقية والدينية بغية فرض انتدابها ،ثم تجزئة سوريا ولبنان الى دويلات ادارية صغيرة ،تحت ذريعة تعود السكان على

التعصب ،ومع هذا تظاهرت بعدم التمييز بين سكان الحكم الذاتي وتخفيف حدة البادية والقرى والمدن لغمرهم الة من العزلة وصرف نظرهم عن التوجهات الوطنية والقومية .

وتطبيقا لهذه السياسة اعلن الجنرال غور منذ الاول من ايلول ١٩٢٠ عن قيام (دولة لبنان الكبير)،واختيرت بيروت كعاصمة لها ،ثم عاد فأكد على تقسيم سوريا الى عدة مناطق ادارية منفصلة عن بعضها ،حيث قامت في 8 ايلول ١٩٢٠ (دولة حلب)،وغدت مدينة حلب عاصمة لها والحق بها لواء الاسكندرونة .وفي 3 كانون الاول من السنة ذاتها تأسست (دولة دمشق).وفي ٢ نيسان ١٩٢١ ،اعلنت دولة جبل الدروز ،وانشأت فيها حكومة خاصة برئاسة سليم الأطرش وأصبحت السويداء عاصمة لها .وفي الأول من تموز ١٩٢٢ تشكلت (دولة العلويين) وعاصمتها اللاذقية

وهكذا تركت سياسة الانتداب هذه اثرا " سينا في النفوس الوطنية لما صاحبها من تفرقة قائمة على تغليب فئة على أخرى ،فضلا عن التدهور والاضطراب في المرافق الاقتصادية ،وبما يتنافى وروحية صك الانتداب . ومن جهة أخرى واجهت سياسة فرنسا الانتدابية ،منذ البداية مقاومة وطنية واسعة عبرت عن نفسها بأساليب وطنية واسعة عبرت عن نفسها بأساليب وصيغ عديدة سواء داخل سوريا او خارجها منها التظاهرات الشعبية والحركات المسلحة ،ومحاولات الاغتيال كما جرى بالنسبة للجنرال غورو والتي لم يكتب لها التحقق حيث أصيب غورو بجروح وقتل مترجمه ، هذا علاوة على تقديم الاحتجاجات والعرائض في المحافل الدولية .

وفي واقع الحال قامت حركات مسلحة في انحاء مختلفة من سوريا حيث اقضت مضاجع الفرنسيين الذين قابلوها بالشدّة والقسوة والبطش، ومن هذه الحركات ،حركة الشيخ صالح العلي في منطقة اللاذقية ،والحركة التي قامت في حوران واستمرت حتى تشرين الاول ١٩٢٠، وفي شمال سوريا قاد ابراهيم هنانو حركة مسلحة في جبل الزاوية ونظم ضد الفرنسيين حرب عصابات خاطفة ،وكانت من القوة بحيث جرد الفرنسيون لآخمادها قوات عسكرية ضخمة في تموز ١٩٢١، وحينها اضطر هنانو إلى مغادرة سوريا إلى شرق الأردن ،حيث اعتقلته السلطات البريطانية هناك وسلمته للسلطات الفرنسية.